حالي خط الاستواء فلا يكاد يفعل فيه فاعل الا ويظهر تأثير ذلك في مجموعه . ولهذه الاسباب لا يمكننا معرفة اوقات وقوع الامطار والثلوج واشتداد الحر والبرد وغير ذلك الا اذا عرفنا تأثير جميع الفواعل والمؤثرات في اتحاد الهواء . وهذا ما يبغي العلماء لرصده ومعرفته حسبما تمكنهم الاحوال

وقد لا يمر بنا زمن طويل حتى تصير نبوات العلماء موضوع ثقة القوم فيعرف الناس جهات الرياح واوقاتها وازمان سقوط المطر والثلج بضبط يكاد يقرب من كنه الحقيقة

وفي اوربا واميركا الآن معاهد خاصة فاكية تُعنى بتغيير حالة الجو انباء جزيلة النفع للانسانية . وعما قريب تتفتح عيون الناس في سوريا فيحظون هذه الخطة العالية ويجازون القوم في حياتهم العمرانية

بيروت خليل سعد

السراسرة او الزرازرة

Les Censeurs

(تمهيد) من احسن ما يفيد الفنويين والكتاب والمحررين واصحاب نادي دار العلوم تتبع الاغلاط الدخيلة في العربية ومعرفة الاصل الذي احدث منه . فان التنقيب عن هذا الامر يكفينا مؤونة وضع بعض المصطلحات الجديدة مع وجود هاعندنا . هذا فضلاً عن منع كثير من الاغلاط عن التسرب الى لغة قريش الفصيحة وحبس مواد اللغة عن ان يعبث فيها عائث والذب عن حياضها ومناهلها الرائية وتخفيف حمل الخاطئة لكثرة ما توفر في هذه الايام نشر الصحف المخالفة للموضوعات . ونخوفاً من ان تموء باثقالها فتهبط . ولهذا فاحسن واسطة نجدها في هذا الباب ان يعمد الى اغفاله بالوب وقت واقصر طريق يسعى في تحقيق اصول الاغلاط الدخيلة حتى اعاد الى الصواب معانيها التي وضعت فيها ويحافظ على المعاني التي نقلت اليها في لغة العرب

وقد اهتديت بسعي الخاص الى بعض هذه الحروف وتحقيق اصلها من ذلك كلمة « سرسور »

(تحقيقة اللغة نقلاً عن اللغويين) السراسرة جمع سرسور قال في محيط المحيط : الزرزار او الزردار) قلت : كذا بدال مهملة قبل الالف) : الطرك (كذا) والاصح الطريق لان العرب تحذف نقطة بطرك او بطريك الزنجي او

بترريك او بطريرك بالرئيس الذي هو فوق رئيس الاساقفة بخلاف البطريق فانها قد وردت عندهم بمعنى البطارك وبمعنى كبير الشرفاء من الروم والرومانيين اي بكلا المعنيين ازرارة او زرارة اه كلام المحيط وقال قرمير سكي الزرارة Patriciens (chez les Grecs de l'empire d'Orient) يقال في بطاركة : زرارح زرازرة = Patricii græcorum ثم زادوا في الايقاليس زرارح زرارة . وفي التاج الزرارة البطارقة كرماء الروم جمع زرار بالكسر . وفي التكملة الزرارة البطارقة . ولم يذكر الكلة اللغوي الانكليزي لين صاحب مد القاموس . ومن اغفل ذكرها صاحب الصحاح والمصباح واساس البلاغة والنهاية بحذفها . لا بل وصاحب لسان العرب ايضاً وهذا في منتهى العجب لان الكتاب ضخم في عشرين مجلداً وقد حوى الفاظاً دون الزرارة شأناً ومع ذلك فقد اهمل الاتيان قال في مادة س ر ر : السرسور: القيلن العالم . وابنه السرسور بال اي حاذق له . ابو عمرو فلان سرسور مال وسرسان مال اذا كان حسن القيام عليه عالماً بصلاحه . ابو حاتم : يقال فلان سرسور ريء وسرسور في ناحيه حيوي وحاضق . ويقال : فلان سرسور هذا الامر اذا كان قائماً به . ويقال للرجل : سرسر اذا امر بتدبير مالي الامور وانه لسرسر . ولم ينبه على ان السرسور هو الصحيح وزيادة . ومن ثم فانك لا ترى في لسان العرب ايراد هذه الكلمة الاعجمية بالمعنى الذي اشار اليه القاموسيون

اما السرسور فقد ذكرها جميع القاموسيين اصحاب المطولات فقال في التاج : السرسور : كقمقم . القيل العالم الحاذق في الامور بحسن حيلة ... وعن ابي حاتم : الحاذق ... الى آخر النص الذي ذكره صاحب اللسان . وقد نقل اصحاب دواوين اللغة كلام ابي حاتم عائدين الى ايراد جميع نصوصهم الآخذين عنه عبارته هذه دون تغيير وقد ذكرناها . وزاد صاحب محيط المحيط وقد خلط في قوله زرارة بالدال بعد الالف والتحتية بالواو فقال في التكملة : الزرورة : البطارقة الواحد زروار كما تقدم فوق هذا

ونضيف اليه احد من اوربي العرب الى انهم من اصل اعجمي واما الافرنج فلا اعرف منهم الا فرنكل اذ قال انها من اصل فارسي واوي قال : مقدير سرسار وفيها لغة وهي سرسور

فالمرجح ان رأي كل من الفيومي والدمار والسرسور لا يتوقف في ان يقول انهما

من اصل واحد وهو : « الزور » ، كررة مع تصحيف فيكون معناها : « رئيس الرئيس » اي الرئيس الكبير . لان الزور هو الرئيس وليس الامر كذلك ولا سيما الزرزار لانهم ترجموها بمعنى البطريق او الكبير من الروم . فلا يمكن ان تكون الكلمة الا رومية اي لاتينية وهي Censor اي سنسور ثم صحفها العرب وتلاعبوا بلفاتها كما فعلوا بلغتهم فتولدت منها الفاظ كثيرة مرجعها الى واحدة . وقلبهم الذين رآه هين مستفاض في كتبهم والشواهد فيه لا تعد ولا تحد حتى في الالفاظ العربية الفصيحة كما قالوا في ريح ساكنة : ريح ساكنة . وقالوا الزون والزور . والوكر والوكن . والهبور والهبوت (العنكبوت) وتأسر عليه وتأسن وما فيه حرير ولا حبير . والمركوس والمنكوس . الى غير هذه الالفاظ وعليه قالوا في سنسور : سرسور . ومن العرب من كان يقلب السين زايا منقوطة ويجعل الالف المفخمة اي « الانرنجية تارة الفا وطوراً واواً كما في صلاة وصلوة . وحياة وحيوة . فقالوا على هذا القياس زرزار .

واهل الاصح ان اللفظة اول ما وردت في كلامهم جاءت محرفة بصورة زنازرة او زرازرة ثم توهموا مفردها زرزار حملاً لها على عادة عربية وكان السرسور او السنسور من ولاة القضاء عند الروم وكان من وظيفته احصاء ابناء الرعية الرومانية وتقدير امرالهم وتدبير بيت المال او خزينة المملكة . ثم امتدت سطوتهم حتى بلغت شأواً بعيداً في النفوذ وشأناً خطيراً في السلطة حتى قلد الزرازرة نقابة اشراف الروم فصارت وظيفتهم كوظيفة نقيب الاشراف عند المسلمين في عهدنا هذا . بل واوغلوا في السطوة حتى خلوا امر مراقبة الآداب وتنزيل الاشراف عن مقاصيرهم العليا وابعاد شيوخ المجلس الاكبر عن مناصبهم بل وربما طردوهم من المجلس طرداً لا مرد لهم اليه

وكانت هذه الوظيفة مقيدة بالبطارقة لا غير . ومن ذلك تعريف العرب للزرازرة بمعنى البطارقة . ثم لوحي عنان جوادها فقبض عليه وعلا صوته كل من كان اهلاً للعلى وان كان من السوقة

على ان اصح وجه للفظة هو « السرسور » كما جاءت في اغلب كتب الائمة الا انها وردت عندهم بالمعنى الفرعي لا بالمعنى الاصلي اي انها جاءت بالمعنى الثاني الذي انتقلت اليه في الرومية والمشتهرت به في عهد صدر الاسلام لانهم قالوا في تفسيرها : القطن العالم الدخال في الامور

وان قيل لنا : ان سرسور هو تعريب سيسور واصل معناه الشيطان قريب . اكتاب

الالفاظ الفارسية المعربة تأليف السيد ادي شير ص ٨٩) قلنا لا يقبل هذا الكلام الا من اراد المزح والسخرية باهل العلم والتحقيق والا اي مناسبة بين هذين المعنيين . وكيف سمي الروم صاحب مقام من اهل الحرف العليا عندهم باسم الزرزور . تلك اضحوكة من الضحكات البكيات . هذا فضلاً عن ان العلق يأبى مثل هذا الوضع الغريب والتأويل البعيد العجيب ولا سيما لان جميع الموكلين في الزرازرة هم الطارقة اي عامة اشراف الرومان . والسرسرة هم البطون الجياع الضالون في الامور كأن الحرب جعلت لكل فرع من العلق قرنة من القط عدواً وفريراً لها من قط وهو كثيراً ما يفعلون ذلك

هذا وتأويل السرسور بالمعنى الذي عنده جاءت اهل اللغة يوافق كل الموافقة التأويل الخاتمة التي جاءت بها لفظة Censeur بل هذه اللفظة الفرنسوية وهي نفس اللفظة الرومية Censor تعني ما يأتي : ١ الذي يتفحص الناس والعوائد . (٢) الذي يتفقد مؤلفات المصنفين ومكتوباتهم من الاوامر والاخطارات الصادرة من الحكومة تأمر على نشر الكتب والجرائد والمجلات وهو الذي سماه كتاب هذا العهد بالمراقب (٣) وسرسور الفروض عندهم الجابي شؤونها وحفظ قوانينها (٤) وسرسور المصرف (البنك) سرسور شركة تجارة وقد وضع له تحقيق اعمال المديرين والمحاسبين شؤونها . الخ وهنا كله يصح فيه معنى السرسور على موجب ما اثبت هناك العمومية الى القط العالم والحسن القيام على اعمال العالم بصناعته

هذا ما اردنا ايراده مخصوص اللفظة واصلها ومعناها عند العرب سابقاً ومعناها عند الافرنج في عهدنا هذا . وامكان دخول مخالف معانيها في هذا الجامعة بين شرعيها وجودة عندنا ايضاً وهذا كله من مهام الوقوف على اصول الالفاظ والبحث عن السلائها في لغتنا . بقي علينا ان نذكر ما يتعلق بهذه اللفظة من امرها في التاريخ فنقول :

« ان السرسور في التاريخ » كانت الفرقة السرسور او السرسور في العصر الاول عند امة الرومان . وكان ينتخب اصحابها العدد الى زمن محدود معروف . واذا فقدها واحدهم صحت ملكه . لوازم في ساحة الفصل مع ان هذه الساحة هي اداة لا غير . وكان يقام السرسور في الاصل لتعداد النفوس كما يدل عليه اللفظ نفسه فالسرسور مركبة من سنس Census والاداة الدالة على الصاحبية والسنس هو تعداد النفوس ثم من بعد ذلك امتدت سيطرته الى اصلاح الاخلاق وتهذيب طبوع الجماعات واميالها . ومن

ثم كان يشارف السوقة والطارقة حتى اذا اخذوا بثهم وجب عليهم ان يركوا انفسهم كما اقتضت الحال او دعاهم السرسور ان يتيحوا ما يعرى اليهم . ولم تكن وظيفة او رتبة او منصب من مقامات الدولة الرومية الا وتخضع لسلطة السرسور او الزرزار . وما كان يكلف به السهر على كل ما يتعلق بالمصالح العامة كالجسور والاقنية والابنية العامة والمخازن والمعابر الى غيرها . وكانت هذه السطوة او السلطة تعلو سيف الشعب الروماني بقدر ما كانت تحط وتهوي في مجلس شيوخهم على انها لم تأخذ بالانحطاط الا مذ دب الفساد الى الامة كلها وسرى الى الخاص منهم والعام سراً وجهراً حتى فشا في السراسرة انفسهم وقد كان لقب الزرزار من الشرف الرفيع ما حدا بقيصر وسائر الامبراطرة ان يتسموا به ويخذوه لانفسهم

واما في بلاد اليونان فان الزرازرة لم يفوزوا بما حظي به من الفوز زملاؤهم الرومیون فان زرازرة اثينة واسبرطة لم يقلدوا ذلك اللقب الا تقليداً ادبياً ليس الا

وقد بقي الزرزار حتى في عهد بعض جمهوريات ايطالية الاخيرة كجمهورية البندقية مثلاً ثم انقرض باقراضها

وكان اول دخول هذا اللقب عند الرومانيين في نحو سنة ٣١٠ من تاريخ رومية اي سنة ٤٤٤ قبل الميلاد . وكان قد لاحظ مجلس رومة الاهلي ان القناصل الذين كان من دأبهم الاشتغال بتسيير الوفود العسكرية كانوا يستطيعون ايضاً ان يحافظوا على اعمال الافراد الخاصة فكان اول من ارتقى الى هذه الدرجة العليا اثنان من الطارقة على ما رواه ليفيوس تيتيوس

L. Papirius Mugillanus' L. Sempronius atratinus, Censui Agendo populus suffragiis Præ fecit Censores, Abs re appellatu

وكانت مدة مقامهم بادئ بدء خمس سنوات يتخيرونهم في مجالسهم الكبرى يسمون هذه المجالس مجلس القوامة Comitia او مجلس الزرازرة Centuriata فقد قال احدهم وهو ق . اسكريبوس بديانس Q. Asconius Pedianus بياد القاب الزرازرة كل خمس سنوات وهذه عبارته اللاتينية .

Censores quinto quoque anno creari Solebant

الا ان هذه المدة الطويلة وسومت في صدر الدين تقلدوها بما يكدر خواطر القناصل ويقلقهم فقصرها الديكتاتور مارقس اميليوس Marcus Æmilius Mamercus فانزلها الى مدة ١٨ شهراً فانتقص من ذلك الزرازرة وانتقموا من صاحب هذا الاصلاح

يحوم حوله من قريب وبعيد ان يعتدي او يتعدى .

وكان من اللازم حينئذ لدى الامر ان يريد الحصول على هذه الرتبة العليا ان يكون المترشح قد امضى اصل التعريف . الا ان هذا القيد لم يدم الا ثلاثة سنة ثم اعتدل الامر الفاصل كانوا يختارون من سواد الشعب فقط . والذين يولاه . وكان من اجل من ظهر في الشعب هو كايوس مريوس Caius Marius وليوس كنتلوس Lucius Cornelius Sulla سلا وحاز قصب السبق اولاً ثم في عصر وزارة مع مقدوس بيوس Quintus Caecilius Metellus Numidicus نوميديكوس وسنة ٦٥٤ من تأسيس روما . ولم يكن من الضروري قبل هذه الرتبة العليا ان يكون المترشح ممن مارس امراً من امور القضاء الاكبر بجميع انواعه بل كان يعطى ليقوس يكلو ان يبليوس بوبليوس كرانس Publius Rutilius Rufus ريكن الامر نيبيا Nepos فاكتفى بالمنصب وزاراً وحيداً عظيماً . الا انهم بعد ذلك اعادوا ما يرقى الى هذه الرتبة الامن كان فعلاً في السابق . ولم يكن يجوز لواحد ان يكون وزاراً غير مرة واحدة في حياته ان كانت من وقت على ما كتب . فليوس تكيس تكلم الله قال عن ذم . وبوبليوس انه من بعد ان تم وزاراً مرة ثانية . ثم انه عاب ذلك عيباً شديداً على فلا احترامه لسن احد قدم او زاراً من الناس غير مدة هذه القضاء لانهم يعتقدون ان من بيديه عنان هذه السلطة مدة سنة يصير فيها عضواً عضواً وبس ثم انهم اعطاب الوزارة مرة ثانية عاملاً لسن السلف وقد قال بوبليوس الاصغر ان من يوصد الوزارة مرة ثانية عليه ان يأبها حتماً للنقمة دائمة .

وكان سلا اعطى الوزارة الى وقت الامن اوه بعض اوهم الغاية . وكان للمياسرة يراتون الشهير ما كان مترشحاً الى الوزارة ان جيدة امنيائي . وبعد وفاة هذا العامل دار الرحى هذه القضاء لمنافق حتى وصل الامر الى الامم . وحصول الاعتراض دليوس اوه فاعلم . وهل اشتهر الوزارة ، فاتر وقاتون ، حتى طلب الى الوزار وعرف به . وقد اتحدد ليا كتبه الى عدة امور عدة كتاب من روم ، اولاتين ، وفرنسويين وانكليز .